«١٢»

# محمد بن عمر بحرق

مولده - دراسته - آثاره العلمية والأدبية - نشاطه في المجتمع - رحلته إلى عدن والهند - وفاته

**❖ مولده، دراسته:**

محمد بن عمر بحرق أحد العصاميين النوابغ الذين يصلون إلى المجد والشهرة لا عن طريق النسب والوراثة بل عن جدارة واستحقاق، وبواسطة الكفاءة وحسن الاستعداد ومواصلة الكفاح، وهو حميري النسب.

ولد بمدينة سيئون في ١٥ شعبان سنة ٨٦٩هـ، وبها نشأ وفيها وفي غيرها من مدن حضرموت درس وتعلم.

بدأ دراسته بحفظ القرآن الكريم، ثم بدراسة علم الفقه والأصول وقواعد اللغة على جماعة من كبار علماء عصره، من أشهرهم العلامة الفقيه محمد بن أحمد باجرفيل أحد البارزين من علماء غيل باوزير والمقبور بجوار ضريح الشيخ عبدالرحيم بن عمر باوزير في الغيل، ثم ارتحل صاحب الترجمة إلى عدن ولزم العلامة عبدالله بن أحمد بامخرمة، وأخذ عنه الفقه والأصول وعلوم العربية والتاريخ وسمع عليه عدة علوم أخرى، كما أخذ أيضاً عن العلامة الفقيه محمد بن أحمد بافضل، ثم ارتحل إلى زبيد كعبة العلم اليمنية في ذلك العهد، فأخذ الحديث والتفسير والنحو عن العلامة الصائغ، والتصوف عن السيد حسين الأهدل، كما درس التصوف

أيضاً على أستاذه الكبير الشيخ أبي بكر بن عبدالله العيدروس، وغادر البلاد اليمنية إلى الحجاز حيث أدى فريضة الحج وسمع من كبار علمائها منهم الحافظ السخاوي، وقد ترجم له هذا في كتابه «الضوء اللامع في أعيان القرن التاسع» وذكر أن الأستاذ بحرق تزوج في زبيد ابنة حمزة الناشري وأنجبت له.

**❖ آثاره العلمية الأدبية:**

أنفق الأستاذ بحرق زهرة شبابه في الجد والتحصل والإكباب على الدرس والمطالعة والتنقل في البلدان لطلب العلم والاتصال بالعلماء، حتى ظهرت مواهبه ونضج تفكيره واتسعت معلوماته، فأصبح أحد العلماء النوابغ الذين يشار إليهم بالبنان، وقد كان بجانب معرفته الواسعة بالفقه وعلوم الدين أديباً شاعراً كاتباً خصب القريحة كثير الإنتاج، وقد ذكر المؤرخون من مؤلفاته أكثر من ثلاثين كتاباً في علوم التوحيد والفقه والتصوف وعلم القراءات والنحو والصرف والطب والحساب والميقات والعروض وغيرها، وبعض هذه الكتب مطبوع يتداوله الطلبة في المعاهد الدينية لسلاسة تعبيرها وحسن ترتيبها، وهي تعطينا صورة عن أسلوب صاحبنا العلمي في الكتابة.

ونحن نورد هنا جانباً من أسماء هذه المؤلفات نقلاً عن المؤرخ الطيب بافقيه:

١- عقد الدرر في الإيمان بالقضاء والقدر.

٢- ذخيرة الإخوان من كتاب الاستغناء بالقرآن.

٣- العقد الثمين في إبطال القول بالتقبيح والتحسين.

٤- الحسام المسلول على منتقصي أصحاب الرسول.

٥- التبصرة الأحمدية في السيرة النبوية.

٦- تجريد المقاصد عن الأسانيد والشواهد.

٧- حلية البنات والبنين فيما يحتاج إليه من أمر الدين.
٨- العروة الوثيقة في الشريعة والطريقة والحقيقة «نظم».
٩- الحديقة الأنيقة في شرح العروة الوثيقة.
١٠- العقيدة الشافعية في شرح القصيدة اليافعية.
١١- الحواشي المفيدة على أبيات اليافعي في العقيدة.
١٢- النبذة المختصرة في معرفة الخصال المكفرة للذنوب.
١٣- متعة الأسماع بحكم السماع.
١٤- ترتيب السلوك إلى ملك الملوك.
١٥- مختصر نهاية الناشري في علم القراءات.
١٦- شرح الجزريَّة في علم التجويد.
١٧- رسالة في إثبات رسالة هارون وكفر فرعون.
١٨- شرح ملحة الإعراب في النحو للحريري.
١٩- فتح الرؤوف في شرح منظومته في معاني الحروف.
٢٠- فتح الأقفال في شرح أبنية الأفعال.
٢١- أرجوزة في الطب وشرحها.
٢٢- أرجوزة في علم الحساب وشرحها.
٢٣- مختصر الخلاصة لابن مالك.
٢٤- رسالة في علم الميقات.
٢٥- مختصر شرح الصفَدي على لامية العجم.
٢٦- البهجة في تقويم اللهجة.
٢٧- شرح على منظومة في العروض.
٢٨- مختصر الأذكار.

٢٩- مختصر الترغيب.

٣٠- مواهب القدوس في مناقب أبي بكر العيدروس.

وللفقيه بحرق آثار أدبية جيدة بجانب آثاره العلمية، فقد حفظ لنا التاريخ نماذج حسنة من شعره في المدح والفخر والوصف والرد على مخالفيه في العقيدة وغير ذلك من أغراض الشعر، وهو في هذه الأبيات يتحدث - واثقاً مما يقول - عن مقدرته الشعرية وقد ردَّ بها على بعض الأدباء الممتحنين له:

قسماً بآيات البديع وما حوى ... من صنعتيه موشحاً ومسلسلا
لو كنت مفتخراً بنظم قصيدة ... لبنيت في هام المجرة منزلا
من كل قافية يروق سماعها ... وتعيد سحبان الفصاحة باقلا
ويُرى لَبيدُ بها بليداً قلبُه ... حَصرا وًينقلب الفرزدق أخطلا

ومنها:

أظننتَ أن الشعر يصعب صوغه ... عندي وقد أضحى لدي مذللا
أبدي العجاب إذا برزت مفاخراً ... أو مادحاً للقوم أو متغزلا
لكنني رجل أصون بضاعتي ... عمن يساوم بخسها متبذلا
وأرى من الجرم العظيم خريدة ... حسنا تزف إلى اللئيم وتجتلى
ما كنت أحسب عقرباً تحتك بالـ ... أفعى ولا هيفا تزاحم بُزَّلا
وأنا الغريب وأنت ذاك وبيننا ... رحم يحق لمثلها أن توصلا

وقال في قصيدة يمدح بها السلطان عمر بن عبدالوهاب الطاهري حين شروعه في بناء مدرسة زبيد:

أبى الله إلا أن تحوز المفاخرا ... فسمّاك من بين البرية عامرا
عمرت رسوم الدين بعد دروسها ... فأحييت آثار الإله الدَّواثرا
فأنت صلاح الدين لا شك هذه ... شواهده تبدو عليك ظواهرا

وروي أنه لما اطلع على هذين البيتين لأحد المعتزلة يعرض فيهما بمذهب أهل السنة في خلق أفعال العباد وهما:

زعم الجهول ومن يقول بقوله أن المعاصي من فعال الخالق
إن كان حقاً ما يقول فلم قضى حدّ الزناء وقطع كف السارق

ردَّ عليه الفقيه بحرق بقوله:

يا تائهاً جعل القضاء مطابقاً للأمر جهلاً وهو غير مطابق
إن القضاء أعم إذ ما كل ما يقضي الإله لأمره بموافق
فالحد مشروع لعاصي أمره وقضاؤه لا عذر فيه لفاسق

**❖ نشاطه في المجتمع:**

بعد أن أدرك الأستاذ بحرق حظاً كبيراً من العلم تفرغ في وطنه لخدمة بلاده ونشر الثقافة بين أبنائها، فتصدى للتدريس والإفتاء، ثم تولى قضاء الشحر فصدع بالحق، وطبق أحكام الشريعة، وانطلقت الألسنة بالثناء عليه لما عرف به من العدل والإنصاف وكرم الأخلاق، ثم حدث خلاف بينه وبين الأمير مطران بن منصور حاكم الشحر من قبل سلطان آل كثير فاستقال متذمّراً من تدخل الأمير مطران في شؤون القضاء.

ومن الأمثلة على صراحته في الجهر بالحق - ولو على نفسه - ما حدث من اختلاف في مسألة فقهية بينه وبين العلامة الفقيه عبدالله بن محمد بن عبسين أحد كبار علماء الشحر حتى طال الجدل بينهما وتحدث الناس بذلك، فجاء ابن عبسين ذات يوم يحمل إلى الفقيه بحرق كتاب الروضة للإمام النووي - وهذا الكتاب أحد المراجع الفقهية المعتمدة عند الشافعية، وفيه نص صريح يؤيد الرأي الذي ذهب إليه ابن عبسين - فاعترف الفقيه بحرق ورجع عن رأيه الذي كان يناضل دونه، وشكر لابن عبسين حرصه على تحري الحقائق والبحث عن الصواب.

ثم قصد الجامع وصعد المنبر وخطب في الناس شارحاً لهم مسألة الخلاف بينه وبين العلامة ابن عبسين، ثم قال: لقد وجدت الحق معه وأشهدكم أني رجعت عن قولي.

وفي هذا دليل على قوة الشخصية ومتانة الخلق والشجاعة الأدبية واحترام النصوص العلمية وعدم المكابرة في الحق، وقد تحدث الناس بهذه الحادثة مكبرين في العلامة بحرق سمو أخلاقه وجهره بالحق على نفسه.

وقد اكتشف السلطان بدر أبو طويرق هذه المزايا الخلقية في شخص العلامة بحرق ورأى فيه من الكفاءة لتولي الأعمال الحكومية ما جعله يدنيه إليه ويصطفيه ليستغل مواهبه في تصريف أعمال حكومته، وقد برهن الأستاذ بحرق في هذه الأعمال التي وكلت إليه عن حسن تصرف ورجاحة عقل ونفاذ بصيرة، ودل بذلك على كفاءة رجل الدين الحضرمي وصلاحيته للاشتراك والمساهمة في الأعمال الإدارية والسياسية.

فقد تحدث التاريخ أن العلامة بحرق كان أحد قواد الحملة التي جهزها أبو طويرق على المهرة في رمضان سنة ٩٥١هـ، وكان جنود هذه الحملة من أبطال نهد والشحابلة ويافع وبني حسن، وقد استولت على قشن حيث بقي الفقيه بحرق عاملاً عليها من قبل السلطان بدر بالاشتراك مع الأمير أحمد مطران.

وقد كان الأستاذ بحرق عاملاً على حضرموت الغربية وهو الذي قمع ثورة آل عامر في الهجرين وآل مخاشن في هينن، كما كان عاملاً على منطقة الكسر يساعده الأمير عنبر التركي، وكان ذلك بعد عودة أبي طويرق من شبوة وبشبم التي ذهب إليها لتأديب بعض الخارجين على ابن عبدالواحد أمير حبان.

### ❖ رحلته إلى عدن والهند:

وتقلبت الأيام بصاحبنا الفقيه وحدثت أمور وجدَّت أحوال فساءت

حالته المالية، واضطر إلى مغادرة الشحر إلى عدن، حيث أقام بها مدة من الزمان في رعاية أميرها مقبلاً على نفع الناس بالتدريس والإفتاء والتأليف، ثم سافر إلى الهند بعد وفاة صديقه أمير عدن، وهناك اتصل برجال دولة الدكّن وأعيانها، وكان السلطان المظفر من أشد المعجبين به، وقد قربه وبالغ في إكرامه واحترامه.

وقد نقل صاحب «السناء الباهر» عنه هذه الحادثة الغريبة فقال: إنه كان ذات يوم في مجلس أحد وزراء الهند - وكان فيه أحد السحرة المشهورين - فحدث أن تحرك ذلك الساحر من مكانه ثم ارتفع في الجو وقعد في الهواء فرمى إليه الفقيه بحرق بإحدى نعليه فما زالت تضربه على رأسه إلى أن عاد إلى مكانه في الأرض، وإذا كنا لا نستطيع أن نتأكد من صحة هذه الحادثة فإنه من المعلوم أن أعمال السحر والشعوذة وظواهرها الغريبة منتشرة في الهند بكثرة ولا يزال السحرة والمشعوذون في الهند يأتون من الأعمال ما هو أشد دهشة وأكثر غرابة من حادثة الفقيه بحرق.

**❖ وفاته:**

وظل صاحبنا مقيماً في الدكّن موضع احترام السلطان والأهالي، حتى وقف له بالمرصاد حاسد هندي اسمه «خداوند» يذيع عنه المفتريات، فاضطر للرحيل عنها إلى كمباية من أرض الهند أيضاً، حيث مات هناك مسموماً من قبل بعض حساده - كما تقول بعض الروايات - بسبب حظوته عند أولي الشأن هناك، وهكذا قضى العلامة بحرق نحبه غريباً بعيداً عن أهله ووطنه، عليه رحمة الله ورضوانه.